♦ سؤال:

« متى وكيف تخلى الإنسان عن نموذج الله؟ »

♦ إجابة:

تأليف: هيوقو مكورد

خُلقَ آدم الإنسان الأول كاملاً، ولكنه أرتد – أي ارتَكب خطيئة (تكوين ٣؛ رومية ٥: ١٢). هكذا أيضاً رغم ان كنيسة الرب بدأت بارشاد الرسل المعصوم وغير المضل (يوحنا ١٦: ١٣)، إلا ان الروح سبق وعرف أيضاً بان الكنيسة كتنظيم كانت سترتد (أعمال ٢٠: ٢٩ و٣٠؛ ١تيم ٤: ١ و٣؛ ٢ تسالونيكي ٢: ١-١٠). كانت ستنمو تلك الكنيسة سريعاً في بادي الأمر (دانيال ٢: ٣٥ و٤٤؛ متى ١٣: ٣١-٣٣)، ولكن ستسقط من رخائها إلى الارتداد.

رغم ان الكنيسة أرتدت من ناحية الاخلاق، والعبادة، وبطرق أخرى كثيرة، إلا اننا سنركز على التخلي عن نموذج الكتاب المقدس لإدارة الكنيسة.

في عصر الكمال، عندما كان الروح القدس يرشد الرسل ان يعلموا الإدارة الصحيحة لكنيسة الله، كانت كل جماعة محلية تحت {قيادة} الشيوخ، وشمامسة لمساعدة الشيوخ. ويسمي هؤلاء الشيوخ في الأسفار المقدسة أيضاً بـ « نُظّار » (أعمال ٢٠: ١٧ و٢٨؛ تيطس ١: ٥-٧)[1]. حسب ترتيب الله، لم يكن هناك تمييز بين الشيوخ؛ لم يُضع أو يُرفع شيخاً ما فوق بقية الشيوخ. هكذا كانت حالة القيادة في الكنيسة عندما كُتب العهد الجديد، ولكن لم يمضي وقتاً طويلاً حتَى أظهرت مرحلة الردة الأولى نفسها في الإدارة. في سنة ١١٠م كتب أغناطيوس عن أسقف ملكي. من هو ضابط الكنيسة غير المعروف هذا؟ فقد جعل هناك تمييزاً بوضع شيخاً واحداً كـ « أسقف » أو « مطران » بينما يكون الباقون مجرد « شيوخ ». بدأت سلطات الأسقف تزداد أكثر فأكثر حتى اصبح يدعى: « الاسقف الملكي ». وفي خلال سنوات قليلة تغيرت إدارة كنائس الله، عوضاً عن إدارتها من قبل مجموعة شيوخ تحولت إلى « النظام الاسقفي أو المطرانية »، أي رئاسة شخص واحد، باباوية مصغرة. مثل هذا النوع من إدارة الكنيسة هو خروج الإنسان عن النظام الذي وضعه الله. « لا يمكن العمل على انسجام بين وجود اسقفية ملكية مع وجود الشيوخ بصيغة الجمع أو مع وجود نُظّار ».

الكنيسة الكاثوليكية المعاصرة تعترف بهذا الخروج المبكر من تعاليم العهد الجديد المدونة. قال المؤرخ الكاثوليكي جورج ستبينق في كتابه بعنوان « قصة الكنيسة الكاثوليكية »:

> نجد الترتيبات الثلاثة المميزة (أساقفة، شيوخ، وشمامسة) أولاً في كتابات أغناطيوس، بانها في حيز الوجود ... لا شك في إيماننا بان ربنا هو نفسه الذي أسس هذا التنظيم الكنسي، ولكن يجب أن نرسخ إيماننا على تقليد الكنيسة، وليس على كلمات العهد الجديد حيث لا نجد هذه الترتيبات.

بمثل هذه الخلفية، لا يجب نذهل من الخطوة التالية عند الخروج من الإدارة. لم يكتفي الأسقف الملوكي بكنيسة واحدة. وسرعان ما أصبحت مجموعة كنائس تخضع لأسقفية ملكية أو مطرانية واحدة. و« في القرن الثالث نشأ نظام عدة أساقفة تحت قيادة المطران أسقف الأبرشية ». وبعد ذلك، « مطارنة الطبقة الأولى » (الاسكندرية، انطاكية، أورشليم، روما، القسطنطنية) سميوا بـ« الآباء

أو البطاركة». رغم انه كان لهؤلاء البطاركة سلطان على مناطقهم في العالم المسيحي، إلا انه لم يكن هناك أحداً أعلى رتبة من الآخر. بل وفي القرن الرابع عوضاً عن أن يكون لواحد من هؤلاء أساقفة الأبرشية سلطان جامعي، اتخذ قسطنطين أمبراطور الروم لنفسه أعلى سلطة على كل الكنيسة كلها. هو الذي دعى إلى انعقاد أول مجلس مسكوني يتكون من ٣١٨ أسقف في نيقوسيا في سنة ٣٢٥م. ولكن لم يكن الأباطرة وحدهم الذين يطمعون بل أيضاً الكنائس التي لم تكن بعد خاضعة له. في سنة ٥٩٥ أراد جون الملقب بالصايم بطريرك القسطنطينية أن يكون فوق جميع الأسقافة والبطاركة وعَيّن نفسه مطران عام {أو جامعي}. غضب كريكوري مطران الروم أشدة الغضب وكتب للأمبراطور قائلاً: «أني متأكد وواثق جداً بان كل من يدعو نفسه أو يريد من الناس أن يدعوه أسقفاً جامعياً، يكون ذلك الشخص باعجابه الباطل نذير ضد المسيح، لأن بفخره هذا يعتز بنفسه فوق الآخرين.»

لم يكن كريكوري يعرف الكثير بانه كان يتحدث ضد باباوات كثيرين سيتعاقبون، وضد بونيفس الثالث الذي خلفه مباشرة. ظل بطريرك القسطنطنية يحمل لقب أسقف المسكوني، أي العالمي بعد وفاة قرقوري بغض النظر عن احتجاجاته. عندما أصبح بونيفس الثالث أسقف روما الجديد، فعل أكثر من مجرد احتجاج على ادعاء قسطنطينية. بعد فوزه بصداقة الأمبراطور فوكاس الذي كان قاتلاً، طلب من الأمبراطور أن ينزع اللقب عن الأبرشية (أو السلطة الشرعية) القسطنطينية ويضعها في روما. قال جون موشين بسلطة بارنيوس انه قد اتفق عليه «معظم الكُتّاب المثقفون والبارزون في المعرفة عن العصور القديمة». أما الأساقفة المعارضون في قسطنطينية، فقد أقروا بان أبريشيتهم لم تكن «متعادلة في الكرامة والسلطة مع أبريشية روما» فقط، بل كان أيضاً فوق «جميع كنائس المسيحيين». لم ينتبه فوكاس إلى احتجاجاتهم، بل منح الشرف العظيم إلى أسقف روما، «وهكذا تم تقديم السيادة البابوية لأول مرة».

هكذا ان المنصب الذي ما يزال يشتهي إليه روما لم يُمنح من قبل مسيحيين مخلصين، بل منحه فوكاس الأناني، «ذاك المستبد البغيض الذي استولي بقوة على الكرسي الملوكي بدم الأمبراطور ماوريشوس».

لا يفسح لنا المجال بالحديث عن انحرافات أخرى مستمرة إلى هذا اليوم. يكفي القول بان الارتداد حدث تماماً كما تنبأ به الكُتّاب الموحى إليهم.

---

[1] الإلحاد: إنكار وجود الله.

ثنائية المواطنة

كان بولس الرسول مواطناً رومانياً، مع انه لم يولد في روما ولا في مستعمرة رومانية. لقد ورث مواطنته. كان أبوه مواطناً رومانياً، لهذا استطاع بولس أن يقول: «وأنا حاصل عليها بالولادة» (أعمال ٢٢: ٢٨). مواطنة بولس الرومانية هذه أعطته صلاحيات عظيمة (أنظر أعمال ١٦: ٣٧؛ ٢٢: ٢٥–٢٨؛ ٢٣: ١٢–٢٧؛ ٢٥: ١١ و١٢)؛ ولكن الشيء الذي كان له أهمية كبرى هي مواطنته في السماء (أنظر فيلبي ٣: ٢٠). من اللحظة التي أعتمد فيها بولس «ليغسل» خطاياه (أعمال ٢٢: ١٦)، صار يتمتع بمواطنتين، الواحدة في روما والأخرى في الرعية السماوية (أفسس ٢: ١٩).

عندما سمعت ليدية وزوجها الإنجيل وأخضعا له (أعمال ١٦: ١٤ و١٥)، صارا «مواطنين في السماء». هكذا أيضاً كان السجان الذي من فيلبي (أعمال ١٦: ٢٥–٣٣) وأهل بيته. اليوم يوجد آلاف من الناس حول العالم كله بعد ما آمنوا وتابوا وأعتمدوا (متى ٢٨: ١٨– ٢٠؛ مرقس ١٦: ١٥ و١٦؛ لوقا ٢٤: ٤٦ و٤٧)، صاروا يتمتعون بمواطنة ثنائية. فهم لا يتطلعون إلى مسكن أرضي، بل يتطلعون إلى المسكن (أو المدينة) ذات «الأسس الثابتة، التي مهندسها وبانيها هو الله» (عبرانيين ١١: ١٠)، هي حرة، أورشليم السماوية (غلاطية ٤: ٢٦؛ عبرانيين ١٢: ٢٢). ليس لنا هنا مدينة باقية، «وإنما نسعى إلى المدينة الآتية» (عبرانيين ١٣: ١٤).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧